

ميلاد ملك الملوك

يُعتبر ميلادُ المخلص يسوع المسيح قبل ألفي سنة، حدثاً هاماً في التاريخ البشري وفي تاريخ علاقة الله مع الإنسان. فعلاوةً على أنه قسم التاريخ إلى ما قبل وبعد المسيح، فلقد أتى الملك الحقيقي الذي تنبأ عنه الأنبياء ، والمخلص المنتظر الموعود به منذ مئات السنين. وها هو النبي إشعياء يتنبأ قائلاً: "لأنه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديراً أبا أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لانتهاءً على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد." (إشعياء ٩: ٦ و٧)

يبدو واضحاً من هذه النبوءة أنها تشير إلى أن هذا الطفل العجيب الذي سيولد سيكون رئيس السلام ويجلس على كرسي داود ويملك إلى الأبد. وعندما أرسل الله الملاك جبرائيل إلى العذراء مريم أكد لها أن الطفل الذي سيولد منها بحلول الروح القدس في أحشائها، "هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية." (بشارة لوقا ١: ٣٢ و ٣٣) أي أكد لها الملاك تحقق نبوءة إشعياء في هذا الطفل العجيب الذي سيولد منها، وأنه سيجلس على كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه نهاية.

وولد الطفل يسوع المسيح في بلدة بيت لحم كما تنبأ عنه النبي ميخا، قائلاً عنه أنه "يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل." (راجع ميخا ٥: ٨) وعند ولادته أنشدت الملائكة للرعاة هاتفة: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة." (بشارة لوقا ٢: ١٤) وظهرت علامات في السماء تؤكد ولادة ملك عظيم. وأتى مجوس من المشرق إلى أورشليم. وسألوا: "أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له." (بشارة متى ٢: ٢) وإذا عدنا إلى نسب المسيح المدون في بشارتي متى ولوقا، لوجدنا فعلاً أن المسيح هو من نسل الملك داود ومن سبط يهوذا كما تنبأ عنه.

ومن الملاحظ أن المخلص يسوع المسيح بدأ خدمته كملك كارزا ببشارة الملكوت "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (بشارة متى ٤: ١٧) وعلم المسيح بمبادئ هذا الملكوت (الموعظة على الجبل) وتحدث عن ملكوت الله بأمثال عديدة. وحوكم المسيح كملك، ألم يسأله بيلاطس الوالي: "أنت ملك اليهود؟" أو لم يقل بيلاطس لليهود: "هوذا ملككم" وعندما سألهم: "أأصلبُ ملككم؟" أجابوه: "ليس لنا ملك إلا قيصر." واستهزأ العسكر الرومان بالمسيح ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان، وكانوا يلطمونه ويقولون: "السلام يا ملك اليهود." وصلب المسيح أيضاً كملك، ألم تكتب لوحة فوق الصليب بعنوان: "يسوع

الناصرى ملك اليهود" وكان رؤساء الكهنة مع الكتبة والشيوخ يستهزأون قائلين: "إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به."

وعند قيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات أعلن لتلاميذه قائلاً: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض." (بشارة متى ٢٨ : ١٨) أي أكد أنه هو الملك الحقيقي الغالب المنتصر، والذي قهر بموته الفدائي وقيامته الظاهرة أعداء الإنسان الخطية والموت وإبليس. وصعد المسيح إلى السماء حيث أجلسه الله الآب عن يمينه أي في مركز الملك والقوة والسلطان. وقد أعلن الرسول بطرس بالروح القدس هذه الحقيقة في موعظته الشهيرة يوم الخمسين إذ أكد أن الله أقام المسيح وأجلسه على كرسي داود أبيه في السماء وجعله ربا ومسيحا. (راجع أعمال الرسل ٢ : ٢٩ - ٣٦) أما الرسول بولس فكتب في رسالته إلى الكنيسة في أفسس عن عمل الله في المسيح: "إذ أقامه من الأموات وأجلسه فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضا. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة." (الرسالة إلى أفسس ١ : ٢٠ - ٢٢) وسيأتي المسيح في مجيئه الثاني الباهر ملكا منتصرا لكي يملك إلى الأبد.

أجل إننا نحتفل هذه الأيام بعيد الميلاد، ليس ميلاد المخلص يسوع المسيح فحسب، بل ميلاد "ملك الملوك ورب الأرباب." (رؤيا ١٩ : ١٦) الملك الحقيقي الذي قدم في مجيئه مفهوما جديدا لملكوت الله، هو مفهوم التحرر من سلطان الخطية وإبليس، ونوال الغلبة والسلام الإلهي العجيب من ملك السلام. الملك الحقيقي الذي يهب كل من يؤمن به الغفران المجاني الكامل والحياة الأبدية، والذي يملك على قلوب أولاده ويقود حياتهم في برية هذا العالم. فهل أدركت قارئى معنى الميلاد الصحيح؟ أولا ترغب أن تصبح من رعايا هذا الملك العظيم وتختبر قوة تحريره وخلصه؟